المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف

الدكتور جواد علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الأول

WWW.ATHAREBARTAR.COM

مقدمة

هذا كتاب في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وهو في الواقع كتاب جديد ، يختلف عن كتابي السابق الذي ظهرت منه ثمانية أجزاء. يختلف عنه في إنشائه، وفي تبويبه وترتيبه ، وفي كثير من مادته أيضاً ، فقد ضمّنته مادة جديدة، خلا منها الكتاب السابق ، تهيأت لي من قراءاتي لكتابات جاهلية عُثر عليها بعد نشر ما نشرت منه ، ومن صور كتابات أو ترجماتها أو نصوصها لم تكن قد نشرت من قبل ، ومن مراجعاتي لموارد نادرة لم يسبق للحظ أن سعد بالظفر بها أو الوقوف عليها ، ومن كتب ظهرت حديثاً بعد نشر هذه الأجزاء ، فرأيت إضافتها كلها الى معارفي السابقة التي جسّدتها في ذلك الكتاب .

وقد رأى أستاذي العالم الفاضل السيد محمد بهجت الأثري تسميته : « المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام » ، لما فيه من تفصيل لم يرد في الكتاب السابق ، فوجدت في اقتراحه رأياً صائباً ينطبق كل الانطباق على ما جاء فيه ، فسميته بما سماه به ، مقدماً إليه شكري الجزيل على هذا التوجيه الجميل .

وكتاباي هذان ، هما عمل فرد عليه جمع المادة بنفسه ، والسهر في تحريرها وتحبيرها، وعليه الإنفاق من ماله الخاص على شراء موارد غير متيسرة في بلاده ، أو ليس في استطاعته مراجعتها بسبب القيود المفروضة على إعارة الكتب، أو لاعتبارات أخرى ، ثم عليه البحث عن ناشر يوافق على نشر الكتاب ، ثم عليه تصحيح المسودات بنفسه بعد نجاحه في الحصول على ناشر ، الى غير ذلك من أمور تسلبه راحته وتستبد به وتضنيه . ولولا الولع الذي يتحكم في المؤلفين في هذه البلاد ، لما أقدم انسان على تأليف كتاب .

WWW.ATHAREBARTAR.COM

وإن عملاً يتم بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة ، لا يمكن أن يرضي المؤلف أو يسعده ، لأنه عمل يعتقد أنه مهما انفق فيه من جهد وطاقة واجتهاد ، فلن يكون على الشكل الذي يتوخاه أو يريده ، والصورة التي رسمها في فكره وتصورها له . ولولا طمع المؤلف في كرم القراء بتبرعهم في تقويم عوجـــه وإصلاح أغلاطه وارشاده الى خير السبل المؤديـــة الى التقويم والإصلاح ، ولولا اعتقاده أن في التردد أو الاحجام سلبية لا تنفع ، بل إن فيها ضرراً ، وان كتاباً يؤلّف وينشر على ما يجمع من عيوب ونقائص خير من لا شيء ، أقول: لولا هذه الاعتبارات لما تجرأت ، فأخرجت كتاباً وعددتني مؤلفاً من المؤلفين .

وأنا إذ أقول هذا القول وأثبته ، لا أريد أن أكون مرائياً لابساً ثوب التواضع لأتظاهر به على شاكلة كثير من المرائين . وإنما أقول ذلك حقـاً وصدقاً ، فأنا رجل أعتقد أن الانسان مهما حاول أن يتعلم ، فانه يبقى الى خاتمة حياته جاهلاً ، كل ما يصل اليه من العلم هو نقطة من بحر لا ساحل له . ثم اني ما زلت أشعر أني طالب علم ، كلما ظننت أني انتهيت من موضوع ، وفرحت بانتهائي منه ، أدرك بعد قليل أن هناك علماً كثيراً فاتني ، وموارد جمة لم أتمكن من الظفر بها ، فأتذكر الحكمة القديمة « العجلة من الشيطان » .

وقد رأيت في هذا الكتاب شأني في الكتاب السابق، ألاّ انصّب نفسي حاكماً تكون وظيفته اصدار أحكام قاطعة ، وابداء آراء في حوادث تاريخية مضى زمن طويل عليها ، بل أكتفي بوصف الحادث وتحليله كما يبدو لي . وقد لا تعجب طريقتي هـــذه كثيراً من القراء ، وعذري أني لا أكتب لإرضاء الناس ، ولا أدوّن لشراء العواطف ، وإنما أكتب ما أعتقده وأراه بحسب علمي وتحقيقي ، والرأي عندي أن التأريخ تحليل ووصف لما وقع ويقع ، وعلى المؤرخ أن يجهـد نفسه كل الإجهاد للإحاطة به ، بالتفتيش عن كلّ ما ورد عنه ، ومناقشة ذلك مناقشة تمحيص ونقد عميقين ، ثم تدوين ما يتوصل اليه بجده واجتهـــاده تدويناً صادقاً على نحو ما ظهر له وما شعر به، متجنباً إبداء الأحكام والآراء الشخصية القاطعة على قدر الاستطاعة .

لقد قلت في مقدمة الجزء الأول من كتابي السابق : « والكتـاب بحث ، أردت جهد طاقتي أن يكون تفصيلياً ، وقد يعاب عليّ ذلك ، وعذري في هذا

WWW.ATHAREBARTAR.COM

التفصيل أنني أريد تمهيد الجادة لمن يأتي بعدي فيرغب في التأليف في هذا الموضوع، وأنني أكتب للمتتبّعين والمتخصصين ، ومن حق هؤلاء المطالبة بالمزيد . وقد فعلت في هذا الكتاب ما فعلته في الأجزاء الثمانية من الكتاب السابق من تقصّي كل ما يرد عن موضوع من الموضوعات في الكتابات وفي الموارد الأخرى ، وتسجيله وتدوينه ، ليقدم للقارىء أشمل بحث وأجمع مادة في موضوع يطلبه ، لأن غايتي من هذا الكتاب أن يكون « موسوعة » في الجاهلية والجاهليين ، لا أدع شيئاً عنها أو عنهم الا ذكرته في محله ، ليكون تحت متناول يد القارىء . فكتابي هذا وذاك هما للمتخصصين وللباحثين الذين يطمعون في الوقوف على حياة الجاهلية بصورة تفصيلية ، ولم يكتبا للذين يريدون الإلمام بأشياء مجملة عن تلك الحياة .

والكتاب لذلك سيخرج في أجزاء ، لا أستطيع تحديد عددها الآن ، ولكني أقول بكل تأكيد انها ستزيد على العشرة ، وانها ستتناول كل نواحي الحياة عند الجاهليين : من سياسية ، واجتماعية ، ودينية ، وعلمية ، وأدبية ، وفنية ، وتشريعية .

لقد أشار عليّ بعض الأصدقاء أن أدخل في العرب كل الساميّين ، وأن أتحدث عنهم في كتابي هذا كما أتحدث عن العرب ، لأن وطن الساميين الأول هو جزيرة العرب ، ومنه هاجروا الى الأماكن المعروفة التي استقروا فيها ، فهم في ذلك مثل القبائل العربية التي تركت بلاد العرب ، واستقرت في العراق وفي بادية الشام وبلاد الشام ، لا يختلفون عنهم في شيء . ثم قالوا : فإذا كنتَ قد تحدثت عن تلك القبائل المهاجرة على أنها قبائل عربية ، فلمَ تسكت عن اولئك الساميين ، ولم تجعلهم من العرب ؟

وجوابي أن القبائل العربية المهاجرة هي قبائل معروفة الأصل وقد نصّت الكتابات والموارد الأخرى على عروبتها ، ونسبت نفسها الى جزيرة العرب ، ولهجاتها لهجات عربية ، لا ريب في ذلك ولا نزاع ، وثقافتها عربية . أما الشعوب السامية ، فليس بين العلماء، كما سنرى،اتفاق على وطنها الأول ، وليس بينها شعب واحد نسب نفسه الى العرب ، وليس في الموارد التأريخية الواصلة الينا مورد واحد يشير الى أنها عربية ؛ ولهجاتها وان اشتركت كلها في أمور ،

WWW.ATHAREBARTAR.COM

فانها تختلف أيضاً في أمور كثيرة ، هي أكثر من مواطن الاشتراك والالتقاء . ففرقٌ كبير اذن بين هذه الشعوب وبين القبائل العربية من حيث العروبة . ثم ان العروبة في نظري ليس بها حاجة الى ضم هذه الشعوب اليها ، لاثبات انها ذات أصل تؤول اليه ، فقد أعطى الله تلك الشعوب تأريخـاً ثم محاه عنهم ، وأعطى العرب تأريخاً أينع في القديم واستمر حتى اليوم، ثم إن لهم من الحضارة الاسلامية ما يغنيهم عن التفتيش عن مجد غيرهم وعن تركاتهم ، لإضافتها اليهم . فليس في العرب مركب نقص حتى نضيف اليهم من لم يثبُت انهم منهم ، لمجرد أنهم كانوا أصحاب حضارة وثقافة ، وأن جماعة من العلماء ترى أنهم كانوا من جزيرة العرب . والرأي عندي أن العرب لو نبشوا تربة اليمن وبقية الترب لما احتاجوا الى دعوة من يدعو الى هذا الترقيع . فأنا من أجل هذا لا أستطيع ان أضم أحداً من هؤلاء الى الأسرة العربية بالمعنى الاصطلاحي المعروف المفهوم، من لفظة العرب عندنا ، إلا اذا توافرت الأدلة ، وثبت بالنص أنهم من العـرب حقاً ، وأنهم كانوا في جزيرة العرب حقاً .

نعم ، لقد قلت إن مصطلح الشعوب العربية هو أصدق اصطلاح يمكن اطلاقه على تلك الشعوب ، وإن الزمان قد حان لاستبدال مصطلح «عربي» و «عربية» بـ « سامي » و « سامية » ، وقلت أشياء أخرى شرحتها في الجزء الثاني من الكتاب السابق في تعليل ترجيح هذه التسمية [1] . ولكني لم أقصد ولن أقصد أن تلك الشعوب هي قبائل عربية مثل الشعوب والقبائل العربية المعروفة . فالساميـة وحدة ثقافية ، اصطلح عليها اصطلاحاً ، والعروبة وحدة ثقافية وجنسية وروابط دموية وتأريخية ، وبين المفهومين فرق كبير .

إن مما يثير الأسف والله في النفوس ان نرى الغربيين يعنون بتأريخ الجاهلية ويجدّون في البحث عنه والكشف عن مخلفاته وتركاته في باطن الأرض ، ونشره بلغاتهم ، ولا نرى حكوماتنا العربية ولا سيما حكومات جزيرة العرب، إلا منصرفة عنه ، لا تعنى بالآثار العناية اللازمة لها ، ولا تسأل الخبراء رسمياً وباسمها البحثَ عن العاديات والتنقيب في الخرائب الجاهلية لاستخراج ما فيها من كنوز، وجمعها في دار للمحافظة عليها ولاطلاع الناس عليها . وقد يكون عذر هذه الحكومات

---

١ (ص ٢٨٧)

WWW.ATHAREBARTAR.COM

أن الناس هناك ينظرون الى التماثيل نظرتهم الى الأصنام والأوثان ، والى استخراج الآثار والتنقيب عن العاديات نظرتهم الى بعث الوثنية واحياء معالم الشرك ، وهي من أجل هذا تخشى الرأي العام ، وإني على كل حال أرجو أن تزول هذه الأحوال في المستقبل القريب ، وأن يدرك عرب الجزيرة أهمية الآثار في الكشف عن تأريخ هذه الأمة العربية القديم .

كذلك أرجو أن تنتبه حكومات جزيرة العرب لأهمية موضوع التخصص بتأريخ العرب القديم ، وأن تكلف شبانها دراسة علم الآثار ودراسة لهجات العرب قبل الإسلام والأقلام العربية الجاهلية ، ليقوموا هم أنفسهم بالبحث والتنقيب في مواطن العاديات المنبثة في مواطن كثيرة من الجزيرة .

ورجاء آخر أتمنى على جامعة الدول العربية والدول العربية أن يحققوه ، وهو ارسال بعثات من المتخصصين بالآثار وباللهجات والأقلام العربية القديمة الى مواطن الآثار في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية والمواضع الأخرى من جزيرة العرب للتنقيب عن الآثار ، والكشف عن تأريخ الجزيرة المطمور تحت الأتربة والرمال ، ونشره نشراً علمياً ، بدلاً من أن يكون اعتمادنا في ذلك على الغربيين . أفلا يكون من العار علينا أن نكون عالة عليهم في كل أمر ، حتى في الكشف عن تأريخنا القديم !

وأضيف الى هذا الرجاء رجاء آخر هو أن تقوم أيضاً بتدوين معجم في اللهجات العربية الجاهلية ، تستخرجه من الكتابات التي عُثر عليها،وبتأليف كتب في نحوها وصرفها ، وترجمة الكتب الأمهات التي وضعها المؤلفون الأجانب في تأريخ الجاهلية ، ترجمة دقيقة تنأى عن المسخ الذي وقع في ترجمة بعض تلك المؤلفات فأشاع الغلط ونشر التخريف .

لقد راجعت بعض المستشرقين الباحثين في تأريخ العرب القديم ، وسألت بعض من ساح في جزيرة العرب في هذه الأيام ، وبعض الشركات العاملة فيها ، في آخر ما توصلوا اليه من بحوث ، وعثروا عليه من عاديات ، فوجدت منهم كل معونة ، وأرسلوا وما برحوا يرسلون أجوبتهم إليّ بكل ترحاب ولطف ، وكتبت الى بعض حكومات جزيرة العرب والى بعض المسؤولين من أصحاب المكانة فيها والنفوذ مراراً ، أسألها وأسألهم عن العاديات وعن الآثار التي عثر عليها

WWW.ATHAREBARTAR.COM

حديثاً في بلادهم ، فلم أسمع من الاثنين جواباً ، وإني اذ أكتب هذه الملاحظة المرّة المؤسفة ، إنما أرمي بها إلى التنبيه ولفت أنظار أولي الأمر أصحاب الحكم والسلطان . فمن واجب المسؤول اجابة السائل ، ولا سيما أن القضية قضية تخص البلاد المذكورة بالذات والعرب عموماً ، وقبيح أن ينبري الغريب ، فيساعد طالب بحث عن تأريخ أمتـــه واخوته ، ويستنكف المسؤولون من أبناء هذه الأمة عن تنفيذ طلب لا يكلفهم شيئاً ، وهو خطير يتعلق بتأريخ هذه الأمـة قبل الإسلام واذاعته أولاً ، وهو واجب من واجباتهم التي نصبوا من أجلها ثانياً .

لقـــد تمكن الباحثون في التأريخ الجاهلي ، من سياح وعلماء ، من الارتقاء بتأريخ الجاهلية بمئات من السنين قبل الميلاد ، وذلك على وجه صحيح لا مجال للشك فيه ، مع أن بحوثهم هذه لم تنزل سوى أمتار في باطن الآثار وفي أماكن محدودة معينة . وسوف يرتفع مدى هذا التأريخ الى مئات أخرى ، وربما يتجاوز الألفي سنة أو أكثر قبل الميـــلاد اذا أتيحت الفرص للعلماء في الحفر في مواضع الآثار حفراً علميـــاً بالمعنى الحديث المفهوم من (الحفر) . وأنا لا أستبعد بلوغ هذا التأريخ الجاهلي في يوم من الأيام التأريخ الذي وصل اليه العلماء في مصر وفي العراق ، أو في أمـــاكن أخرى عرفت بقدم تأريخها ، بل لا أستبعد أيضاً أن يتقدم هذا التأريخ تأريخ بعض الأماكن المذكورة .

وبعد هذا ، لا بد لي هنا من الاعتراف بفضل رجل ، له على هذا الكتاب وعلى الكتاب الأول يد ومنة ، وله كذلك على مؤلفها فضل سابق ، يسبق زمن تأليف كتابيه بأمد طويل، هو فضل الارشاد والتوجيه والتعليم . وأريد به الاستاذ العلامة الفاضل السيد محمد بهجت الأثري ، العضو العامل في مجمع اللغة العربيـــة بالقاهرة وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . فقد كان لي ولأمثالي من الدارسين والباحثين ولا يزال مرشداً وموجهاً ومشوقاً لدراسة التراث العربي والتراث الإسلامي والتأليف في ذلك ، مذ كنت تلميذه في الإعدادية المركزية ببغداد أتلقى عنه في جملة من كانوا يتلقون عنـــه الأدب العربي ، فكان يشوقنا بأسلوبه الجذاب ، وبتأثيره القوي المعروف ، الى التوسع في دراسة الأدب العربي وتأريخ الأمـــة العربية ، وهو ما برح يحثني على الاسراع في اتمام هذا الكتاب واخراجه للناس ، قارئاً مسوداته ، ومبـــدياً آراءه وارشاداته وملاحظاته القيمة ، التي أفادتني ، والحق

WWW.ATHAREBARTAR.COM

أقول ، كثيراً . وهما فضلان لن ينساهما تلميذ يقدّر الفضل لأستاذ كريم يفني نفسه في تربية الأجيال ونشر الأدب والعلم .

وبعد ، فهذا الكتاب هو جمعي وترتيبي ، فأنا المسؤول عنه وحدي، وليس لأحد محاسبة غيري عليه ، اجتهدت ألا اضمّنه الا الحق والصواب من العلم على قدر طاقتي واجتهادي ، فإن أكن قد وفقت فسيما قصدت اليه وأردته ، فذلك حسبي وكفى ، لا أريد عليه حمداً ولا شكراً ، لأني قمت بواجب، وعملت عن شوق ورغبة وولع قديم بهذا الموضوع يرجع الى أيام دراستي الأولى ، فليس لي فضل ولا منّة ، وإن كان فيه حسناً فهو للعلماء الذين اعتمدت عليهم وأخذت منهم ، وليس لي فيه غير الجمع والتأليف . وإن أخفقت فيه فذلك مبلغ علمي واجتهادي ، أديته بعد تعب،لا أملك أكبر منه ، وبغيتي حسن التوجيه والإرشاد وتقويم الأود ، وتصحيح الأغلاط ، فالنقد العلمي الحق إنشاء وبناء ، والمدح والإطراء في نظري ابعاد لطالبي العلم من أمثالي عن العمل والتقدم،وسبب يؤدي الى الخيلاء والضلال ، وفوق كل ذي علم عليم .

جواد علي

WWW.ATHAREBARTAR.COM

الفصل الأول

تحديد لفظة العرب

نطلق لفظة « العرب » اليوم عـــلى سكّان بلاد واسعة ، يكتبون ويؤلفون وينشرون ويخاطبون بالإذاعة و « التلفزيون » بلغة واحدة ، نقول لها لغـة العرب أو لغة الضاد أو لغة القرآن الكريم . وإن تكلموا وتفـــاهموا وتعاملوا فيما بينهم وفي حياتهم اليومية أدّوا ذلك بلهجات محلية متباينة ، ذلك لأن تلك اللهجات إذا أُرجعت رجعت الى أصلٍ واحد هو اللسان العربي المذكور ، وإلى ألسنـة قبائل عربية قديمة ، وإلى ألفاظ أعجمية دخلت تلك اللهجات بعوامل عديدة لا يدخل البحث في بيان أسبابها في نطاق هذا البحث .

ونحن إذْ نطلق لفظة (عرب) و (العرب) على سكان البلاد العربية ، فإنما نطلقها اطلاقاً عاماً على البدو وعلى الحضر ، لا نفرق بين طائفة من الطائفتين ، ولا بـــين بلد وبلد . نطلقها بمعنى جنسية وقومية وعلم على رسٍّ له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر .

واللفظة بهذا المعنى وبهذا الشكل ، مصطلح يرجع الى ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي تأريخياً الى ما قبل الميلاد ، بل لا يرتقي عن الإسلام الى عهـــد جدّ بعيد . فأنت إذا رجعت الى القرآن الكريم ، والى حديث رسول الله ، وجـدت للفظة مدلولاً يختلف عن مدلولها في النصوص الجاهلية التي عُثر عليهـا حتى الآن، أو في التوراة والإنجيل والتلمود وبقية كتب اليهود والنصارى وما بقي من مؤلفات

WWW.ATHAREBARTAR.COM

يونانية ولاتينية تعود الى ما قبل الإسلام . فهي في هذه أعراب أهل وبر ، أي طائفة خاصة من العرب . أما في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي الشعر المعاصر للرسول ، فإنها علَم على الطائفتين واسم للسان الذي نزل به القرآن الكريم ، لسان أهل الحضر ولسان أهل الوبر على حد سواء . «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ . لسان الذي يلحـــدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين[1] » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته أعجمي وعربي . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادَون من مكان بعيد[2] » .

وإذا ما سألتني عن معنى لفظة (عرب) عند علماء العربية ، فإني أقول لك: إن لعلماء العربية آراء في المعنى ، تجدها مسطورة في كتب اللغة وفي المعجمات . ولكنها كلها من نوع البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة ، وُضعت على الحدس والتخمين ، وبعد حيرة شديدة في ايجـــاد تعليل مقبول فقالوا ما قالوه مما هو مذكور في الموارد اللغوية المعروفة ، وفي طليعتها المعجمات وكتب الأدب . وكل آرائهم في تفســـير اللفظة وفي محاولة ايجاد أصلها ومعانيها ، هو اسلامي ، دوّن في الاسلام .

وترى علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية ، فبينما يذهبون الى أن (يعرب) كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي ، ثم يقولون : ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربي ، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم ، أي انهم يرجعون عهده الى مبدأ الخليقة ، وقد كانت الخليقة قبل خلْق (يعرب) بالطبع بزمان طويل . ثم تراهم يقولون : أول من تكلم بالعربية ونَسِي لسان أبيه اسماعيل . ألهم اسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً . وكان أول من فُتق لسانه بالعربية المبينة ، وهو ابن أربع عشرة سنة[3] . واسماعيل هو جدّ العرب المستعربة على حد قولهم .

والقائلون إن (يعرب) هو أول من أعرب في لسانه ، وانه أول من نطق

---

١ سورة النحل . رقم ١٦ الآية ١٠٣ .

٢ سورة فصلت . رقم ٤١ الآية ٤٤ .

٣ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » « عرب » ، اللسان (٢ / ٧٥) المزهر (١ / ٣٠ فما بعدها) ، ابن خلدون (٢ / ٨٦) .

WWW.ATHAREBARTAR.COM